ثنائية الذكر والأنثى في المخيال الاجتماعي الجزائري

- الحكاية الشعبية أنموذجا -

Male and female duality in the Algerian social imagination
- Folk tale as a model -

زهرة شوشان[1]*

[1] جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة، الجزائر، z.chouchane@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/19 تاريخ القبول: 2021/12/29 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص:

تهدف هذه الدراسة الميدانية إلى تحليل الدلالات السوسيولوجية للفروق بين الجنسين. وللإجابة عن هذا اخترنا الحكاية الشعبية كونها تعبر عن القطاع اللاواعي الغنوصي في حياة المجتمعات.

الحكاية هي سرد أحداث سواء كانت حقيقية أو خرافية أو حقيقية وخرافية في آن واحد. ولا يعرف لها مؤلف فهي ملك لكل الشعب، ومنه تستمد شرعيتها ومصداقيتها واستمرارها. وتتنوع الحكاية بتنوع مواضيعها وأبطالها.

وللإجابة عن هذا التساؤل حللنا عينة من الحكايات الشعبية، مركزين على البطل الفاعل كشخصية محورية في الحكاية. موضحين السمات والعلاقات الاجتماعية لكلى الجنسين. من أهم التقنيات والمناهج المستخدمة في الدراسة: تحليل المحتوى، الملاحظة.

كلمات مفتاحية: الجنس؛ الحكاية؛ المخيال الاجتماعي؛ الفاعل البطل؛ الفروق.

Abstract:

This field study aims to analyze the sociological implications of gender differences. To answer this, we chose the folk tale as it expresses the unconscious Gnostic sector in the life of societies.

A tale is a narration of events, whether real or mythical, or real and mythical at the same time. It has no known author, as it belongs to all the people, and from it derives its legitimacy, credibility and continuity. The story varies with the diversity of its subjects and heroes. To answer this question, we analyzed a sample of folk tales, focusing on the active hero as a central character.

in the tale. Explaining the characteristics and social relations of both sexes. Among the most important techniques and approaches used in the study: content analysis, observation.

Keywords: sex; tale; social imagination; protagonist; differences.

*** المؤلف المرسل:** زهرة شوشان، **الإيميل:** z.chouchane@univ-bouira.dz

1. مقدمة:

يرجع الاختلاف بين الجنسين إلى خلفيات عدة إذ "نحن لا نولد بناتا (أو صبيانا) إنما يجعلون منا هكذا!. ماذا يعني هذا؟. إنه يعني، أنّ الأطفال يدُفعون اعتبارا من يومهم الأول بصورة منتظمة إلى دور جنساني ويمسخون إلى كائن نسميه "أنثى" أو "ذكر". هذه السيرورة تحّجم الاثنين، إلا أن البني تُحّد أكثر من الصبي في امكانياتها الكامنة، تنتقص في استقلاليتها، وتظلم على صعيد الواقع". (شوي، 1995، ص11).

فالبنت المولودة حديثا (أو الصبي) نفسها لا تعرف بعد أي شيء عن مشكلة جنسها. لكن هؤلاء الذين سيربونها، لديهم صورة واضحة عن النموذج الأمثولي للبنت أو الصبي. على الابنة أو الابن أن يصيرا شبيهين قدر الامكان بهذا الموديل، مهما بلغ الثمن". (شوي، 1995، ص61).

وللتعمق أكثر في الاختلافات بين الذكر والأنثى ندرج دراسة "جون جراي": "الرجال من المريخ والنساء من الزهرة" حيث أخضع "جون جراي" 25 000 شخص للتجربة والاختبار لكشف أوجه الاختلاف بين الرجل والمرأة، والغرض منها هو تخفيف توتر العلاقات بين الجنسين وخلق المزيد من الحب بينهما، والدراسة تقدّم اقتراحات عملية بشأن كيفية تقليل الإحباط واليأس وزيادة فرص السعادة والتآلف. يرى "جون جراي" بأنّه من جهة "يعتقد الرجال خطأ بأنّ النساء تفكّرن وتتواصلن وتتفاعلن بنفس الطريقة التي يتصرف بها الرجال أنفسهم، وكذلك النساء فهن تتوقعن خطأ بأنّ الرجال يشعرون ويتواصلون ويتجاوبون بنفس الطريقة التي تمارسها النساء". (جراي، 1999، ص7) ومن جهة أخرى يوضّح بأنّ "الرجال والنساء مختلفان في طريقة التفكير والإحساس والإدراك وردود الفعل والحب والحاجة والتقدير. إنّهم يبدون كما لو كانوا من كواكب مختلفة ويتحدّثون لغات مختلفة ويحتاجون أشياء مختلفة ". (جراي، 1999، ص3).

ومنه، فالاختلافات بين الجنسين تنحصر في عدة ميادين كطرق التفكير، والإدراك، والإحساس، والاحتياجات...الخ، ولتوضيح هذه الاختلافات حللها "جون جراي" بربطها بمجموعة من المتغيرات أهمها: طبيعة الاهتمام، ماهية الكفاءة، الإحساس بالذات، وطبيعة العلاقات.

عموما أسباب التفرقة كثيرة تتراوح بين الاختلافات البيولوجية وتأثير الوالدين، والمستوى التعليمي، والترتيب بين الإخوة، وطبيعة الثقافة التقليدية... إلخ.

وتختلف نظرة الأساطير والثقافات لأصل المرأة وجسدها وكيفية تواجدها وعلاقاتها بالرجل هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعتبر المخيال مكسبا إنسانيا إلاّ أنّ أشكاله الخارجية ليست واحدة عند كل المجتمعاتوهذا ما يفسّر اختلاف الرؤية للأنثى، إذ لكل مجتمع بنيته التصورية التي تميّزه عن غيره ولكل جماعة إنسانية حصيلتها التاريخية.

وعلى هذا الأساس تحاول هذه الدراسة تحليل الدلالات السوسيولوجية للفروق بين الجنسين من خلال الحكاية الشعبية المتداولة في المجتمع الجزائري، محاولين الاجابة عن التساؤل الرئيسي الآتي:

* كيف تجسدت ثنائية الذكر والأنثى في المخيال الاجتماعي من خلال الحكايات الشعبية المتداولة في المجتمع الجزائري؟

2. تحديد المفاهيم:

1.2. الحكاية:

تقاس فيها واقعة من الوقائع الحقيقية أو الخيالية دون الالتزام بقواعد الفن القصصي، وغالبا ما تتضمن الحكاية النوادر، الخرافات والأساطير، وتنتشر على أفواه الناس". (مريدن، 1985، ص112)

2.2. المخيال الاجتماعي:

فكما يرى "جلبار ديران" (Gilbert Durand)أنّنا كثيرا ما نستعمل كلمات مثل صورة ، علامة ، أسطورة للتدليل عليه". (Gilbert, 1976, p07)

إنّ مفهوم المخيال يجمع بين التصور والخيال ويتجاوزهما وكما يشير إلى ذلك "جلبار ديران" "فإنّه من غيراللائق النظر إلى التخيّل على أنّه ظاهرة سابقة للفكر العقلي السليم بل يجب النظر إليه باعتباره عاملا أساسيا في توازن النفس– اجتماعي". (Gilbert, 1976, p-p 84-85)

والمخيال الاجتماعي يبرز أحيانا في شكل ايديولوجيا وأحيانا في شكل يوطوبيا. وهما شكلان من الوعي الإنساني يشكلان البنية الصراعية الداخلية للمخيال ذلك أنّه يظهر تارة في شكل يوتوبيا منقلب عن الواقع هاربا منه وذلك لتحقيق "نوع من الفردوس المفقود" الذي يستعيد فيه البشر إنسانيتهم". (عبد الغفار، دت، ص64) على حد تعبير "ماركس هودكهيمر"، أو في شكل "إيديولوجيا" مشّوه للواقع غارق في الوهم أو الوعي الزائف الذي يهيمن على الأفق الذهني لجماعة من الجماعات في فترة من الفترات، علما أنّ أول العلاقات التي تربط بين مجموعة من الأفراد هي علاقة مخيالية". (Anzieu, 1984, p47)

وباختصار المخيال هو مجموعة التصورات المشتركة لدى جماعة معيّنة اتجاه جماعة أخرى ذلك أنّ كل مجتمع منظم بلغة خاصة، ومحيطه الخاص ينتج مكانة خاصة به". (Durand Gilbert, 1964, p 192)

3.2. الشخصيات:

شخصيات الحكاية تندرج ضمن حقول عمل وهي حسب "فلاديمير بروب" عددها سبعة وهي: حقل عمل المعتدي أو الشرير، المانح أو المزّود المساعد، الأميرة أو الشخصية موضع البحث، الطالب، البطل، البطل المزيّف.

- الحقول تترجم طبيعة الشخصيات ووظائفها غير أنّه قد يحدث وأن تتداخل الحقول بتداخل الوظائف.
- يبلغ عدد الشخصيات حسب حقول العمل سبعة رئيسة، غير أنّ هناك شخصيات أخرى خاصة بالربط كالشكاكين والوشاة، والنمامين، والحقودين، كما أنّ هناك مخبرين خاصين بوظيفة تحصيل المعلومات ومساعدة البطل كالخاتم، الدجاجة، الناي... إلخ. حيث يخبرون البطل عن مكان تواجد الضحية مثلا.

4.2. الفاعل:

الفاعل أو البطل هو الشخص الذي تبنى عليه معظم أحداث الحكاية، وهو أساس استمرارية الأحداث وتفاعلها، ويمثل في معظم الأحيان الشخصية المحورية في النص الحكائي، وفي أحيان أخرى يتقاسم الأهمية مع شخصيات الحكاية.

ويعتبر متغيّر الجنس هام في تفسير علاقات وسمات الشخصيات، وأهميته تلك لا تكمن على مستوى النص فحسب بل على مستوى الحكاة أيضا، إذ نستخلص من عيّنة البحث بأنّ جنس الأنثى يفوق جنس الذكر، وهذا ما يفسّر التقسيم الاجتماعي للعمل، إلى جانب استخدام الحاكي الأصلي كالأمهات للحكاية في تنشئة الأبناء. ويوجد ثلاث نموذج من الفاعل (البطل) وهما:

*** الفاعل الإيجابي:** وهو الذي يقوم بإصلاح الافتقار الواقع في الوضعية البدئية للحكاية، أي الشخصية الإيجابية التي تحّرك الأحداث للوصول إلى غاية الفعل مثل حكايات: "لُغْـز الإِمَارَة"، "لُونْجَـة بنْـت الغُـول"، "بنَـات الأُصُول"، ويهدف الفاعل الإيجابي إلى ترسيخ النموذج المثالي الذي ينظّم حياة الأفراد ويحّسنها.

*** الفاعل السلبي:** يمكن تصنيفه إلى صنفين:

- الفاعل الذي ليس له دور، أو له دور ساذج مثل حكايات: "وَدَعَة"، "بـَعْـوس الطَحَّان".

-الفاعل الشرير: تتمأفعّاله بالإساءة مثل حكايات: "الغُـول والْمرا الَمغْـبُـونَـة"، "الغُـولَة"، "الَراجل وَخالْتُـو الغُـولَة".

ونشير إلى أنّ معظم الفاعلين الشريرين ينتمون إلى فئة "الغول". كما أنّ الفاعل سواء كان إيجابيا أو سلبيا فقد يكون إنسانا أو حيوانا أو آخر.

*** الفاعل المتنوع:** يمكن تصنيفه إلى صنفين:

الفاعل إنسان / حيوان: كأن يكون الإنسان إبنا للحيوان مثل حكاية "لُونْجَـة بـَـنْـت ْدريف الغُـول"، أو أن تكون شخصيات الحكاية متضمنة لشخصيات بشرية وحيوانية مثل حكاية "اَلْحَمد الحـَـوات"، "بَلبا شَمُّهور وْخَير الدَّنْيـَـا"، "بَلبَا مـْـرجَان".

- الفاعل المتحّول: كأن يتحّول الإنسان إلى حيوان مثل حكاية "الطير لَخْضَر، زْوِيـوِيش"، "جْمَيَّـل"، "الحـْـمَامَة".

3. الأنثى في الأسطورة:

تختلف نظرة الأساطير والثقافات لأصل المرأة وجسدها وكيفية تواجدها وعلاقاتها بالرجل هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعتبر المخيال مكسبا إنسانيا إلاّ أنّ أشكاله الخارجية ليست واحدة عند كل المجتمعاتوهذا ما يفّسر اختلاف الرؤية للأنثى، إذ لكل مجتمع بنيته التصورية التي تميّزه عن غيره ولكل جماعة إنسانية حصيلتها التاريخية. ونوضح هذا بذكر نموذج للأساطير التأسيسية الآتية:

الأولى: أصل الأنثى عند هنود "الشماكوكو" (Chamacoco).

الثانية: أصل الأنثى عند " الشيرونتي" (Shérenté).

الثالثة: أصل الأنثى في الثقافة العربية.

1.3. الأسطورة الأولى: أصل الأنثى عند هنود "الشماكوكو" (Chamacoco).

حسب "كلود ليفي ستروس"(Claude Levi Strauss) بأن أحد الفتيان كان مريضا فتمدد على الأرجوحة، وإذا به يرى فرج أمه التي صعدت إلى سقف الكوخ لتصليح الغطاء، فاشتد شغفه بما رأى، وانتظر عودتها فاغتصبها، وراح بعد ذلك يبيح لها بسر الأقنعة التي ما لبثت أن أعلمت به صديقاتها إذ كان ذلك محرما عليهن.

وحين أدرك الرجال الأمر، قتلوا جميع النساء إلا واحدة تحولت إلى آيل وتمكنت من الفرار، ولكن الرجال لم يستحسنوا القيام بأنفسهم بالأعمال النسوية.

وذات يوم مّر رجل بشجرة كانت فوقها الأنثى التي نجت من الموت، فبصقت هذه الأخيرة على الأرض لتلفت نظره، فحاول الرجل تسلق الشجرة لكن قضيبه المنتصب لم يمكنه من ذلك، واستسلم أخيرا بعد أن غمر المني جذع الشجرة، وجاء باقي الرجال وتسلقوا الأشجار المجاورة فتمكنوا من الوصول إلى الأنثى فاغتصبوها وقطعوها إربا إربا، وكان كل جزء منها يسقط يتشبع بالمني المنتشر في الأرض، وكان كل رجل يعود إلى بيته يأخذ قطعة معه. وذهبوا بعد ذلك إلى الصيد. وادعى اثنان من أتباع "الشامانية" حين بُعِثا للاستطلاع بأن النسور قد أكلت أشلاء الأنثى، فعاد الهنود إلى القرية فوجدوها عامرة بالنساء والأطفال، وتزوج كل واحد منهم الأنثى التي نتجت من قطعته، إذ أعطت قطع الفخذ نساء سمينات، والأصابع نساء نحيفات به"(Claude, 1964, p 120)

نستنتج من الأسطورة بأن ظهور الأنثى على مسرح الأحداث كان إثر تحول ناجم عن مرحلتين:

الأولى: هروب الأنثى من عقاب جماعي بتحولها إلى آيل.

الثانية: تتحول قطع جسد الأنثى الهاربة إلى نساء كثيرات بعدما تمتزج القطع بمني الرجل رمز الخلق والنشأة.

إنّ الفتى المريض المستلقي على الأرجوحة عندما رأى أمه فوق السقف ثارت غرائزه واغتصبها وهنا تبرز وظيفة الانتهاك (حدوث الافتقار)، وهي وظيفة مركزية في مختلف الحكايات. حين انتهك الفتى العلاقات الاجتماعية المتعارف عليها بانتهاكه المحارم (أمه) فكان بذلك قد عبر عن قوته وسلطته التي تتغلب على ضعف الأنثى.

إنّ مختلف التضادات والمتعاكسات الموجودة في الأسطورة هي:

- ابن (رجل) / أم (امرأة). - قوة (الرجل) / ضعف (الأنثى).
- فوق أرجوحة (أسفل) / فوق سقف الكوخ (أعلى) - سر (المحافظة) / بوح (الانتهاك).

2.3. الأسطورة الثانية: أصل الأنثى عند "الشيرونتي" (shérenté).

تنص الأسطورة على أنه في الماضي لم يكن للنساء تواجد يذكر، والرجال كانوا يقومون باللواط... ورجل منهم وجد نفسه حاملا ولأنه لا يستطيع الولادة فقد مات.

وفي أحد الأيام بعض الرجال لاحظوا في منبع الماء انعكاس لصورة امرأة كانت تختبئ في أعلى الشجرة، وخلال يومين حاولوا أن يقبضوا على المنعكس. وأخيرا رجل منهم رفع عينيه ورأى الأنثى وقاموا بإنزالها ولكن ككل الرجال اشتهوها فقسموها إلى قطع ووزعوها، وكل واحد منهم وضع قطعته داخل ورقة ثم داخل سطل (Un baquet) وهذا الأخير يوضع داخل بطانة البيت. وبعد ذلك ذهبوا للصيد، وفي العودة أرسلوا مستقصي للاستطلاع، فأخبرهم بأن كل القطع قد تحولت إلى نساء، فالذي تحصل على قطعة من الصدر تحصل على امرأة جميلة، و من جذب قطعته بقوة تحصل على امرأة نحيفة. ومنذ تلك الفترة لما يذهبون إلى الصيد يأخذون نساءهم معهم (Claude, 1964, p-p 119-120)

ظهرت الأنثى على مسرح الأحداث، وهي مختبئة فوق الشجرة، فإذا بأحد الرجال رفع عينيه فرآها، ثم أخبر الآخرين فقطعوها، وأخذ كل واحد منهم قطعته ووضعها داخل ورقة ثم داخل سطل خشبي وُضِع داخل فجوات البيت كما تحفظ عادة الأشياء الهامة .

وبعدها ذهب الرجال للصيد، ولكن عند عودتهم وجدوا قطع اللحم قد تحولت إلى نساء بدينات و نحيفات، فأخذ كل منهم الأنثى الناجمة عن قطعته.

نستنتج من الأسطورة بأن ظهور الأنثى على مسرح الأحداث كان إثر تحول ناجم عن مرحلتين:

الأولى: ظهور الأنثى الوحيدة مختبئة فوق شجرة فقرر الرجال تقطيعها.

الثانية: تحّولت قطع جسد الأنثى إلى نساء كثيرات وسمينات.

عندما رأى الرجل الأنثى أخبر بقية الرجال، فقطعوها، وهنا تبرز وظيفة الانتهاك (حدوث الافتقار) وحين قتل الرجال الأنثى وقطعوها، انتهكوا بذلك العلاقات الاجتماعية المتعارف عليها و عبروا عن قوتهم وسلطتهم التي تتغلب على ضعف الأنثى.

إن مختلف التناقضات الموجودة في الأسطورة هي:

- رجل / امرأة. - قوة الرجل / ضعف الأنثى
- رجال / نساء. - رجل يتزوج امرأة نحيفة / رجل يتزوج امرأة سمينة.

- أمام منبع الماء (أسفل)/ فوق الشجرة (أعلى).

3.3. الأسطورة الثالثة: - أصل الأنثى في الثقافة العربية.

فتنص على أن الله خلق في البدء السموات والأرض، ثم خلق الرجل، ونسي أن يخلق الأنثى، ولكنه عندما أراد أن يخلقها وجد نفسه قد استنفذ كل العناصر والمواد التي كانت لديه، لذلك عاد إلى الكون الذي أوجده واستخلص منه الأنثى على الشكل التالي:

أخذ من الشمس حراراتها، ومن الريح تقلباتها، ومن المحيط عمقه، ومن الفجر ابتسامته، ومن الأمواج مدها وجزرها، ومن الغيوم دموعها، ومن الأوراق خفتها، ومن حفيف الأشجار حنانها، ومن النبات رعشته، ومن الزهر أريجه، ومن الخمر نشوته، ومن العسل حلاوته، ومن الذهب بريقه، ومن الماس قسوته، ومن الريم رشاقتها، ومن الأرنب عفته، ومن الثعلب خبثه، ومن الطاووس غروره، ومن الزمن غدره، ومن الببغاء ثرثرته...

مزج الخالق هذه العناصر وكّون منها الأنثى، وأعطاها للرجل. وبعد أسبوع جاء الرجل إلى الخالق وقال له:

ربي، إنّ ما أعطيتني قد سمم حياتي، إنها تتكلم بدون انقطاع، وتبكي بلا سبب، ولا ترضى عن شيء، خذها يا ربي وأعد إلي راحتي. فأخذ الخالق الأنثى، ولم ينقض أسبوع آخر حتى عاد الرجل إلى الإله قائلا : إنّ حياتي بدون الأنثى ليست ممكنة، وأشعر أنّ هذا الكون بكل خيراته أمر من العيش بدونها، إني أذكر كيف كانت تنظر إلي بحنان وكيف كانتبتلسامتها تجدد نشاطي، إنني أذكر كيف كانت تحبب إلي الحياة وهي تغني لي، كيف كانت تنسيني متاعي،تجمل حياتي و أحلامي بعطفها علّي، أعدها إلي يا ربي. فأعاد الخالق الأنثى إلى الرجل، وبعد ثلاثة أيام رجع الرجل إلى الخالق وهو يقول بأن الأنثى تسبب له من الإزعاج أضعاف ما تعطيه من السعادة، وأنه لا يستطيع أن يعيش معها. عندئذ غضب الخالق من تقلبات الرجل وقال له: كيف تريد أن أفهمك وأنت لا تستطيع أن تعيش مع الأنثى، ولا ترغب في الحياة بدونها؟.". (الحفار الكزبري، دت، ص-ص 103-104).

نستنتج من الأسطورة بأن الأنثى ناتجة عن تدارك الخالق لنسيانه واستخلاصه لعناصر الطبيعة المتناقضة، والمختلفة، والمتشابهة، والتي يمكن توضيحها على النحو التالي:

- العناصر المتناقضة:

· الأرنب (العفة) / الزمن (الغدر).

· لشمس (الحرارة) / لغيوم (الدموع).

· المحيط (العمق) / الماس (القسوة).

- العناصر المختلفة:

الطاووس (الغرور)، الببغاء (الثرثرة)، النبات (الرعشة).

- العناصر المتشابهة:

· الأوراق (الخفة) / الريم (الرشاقة).

· الزهور (الأريج) / الذهب (البريق).

· الأشجار (الحنان) / الفجر (الابتسامة).

· الخمر (النشوة) / العسل (الحلاوة).

بعد تناول مختلف العناصر المتناقضة، والمختلفة، والمتشابهة، نقارب العناصر المتشابهة:

- العناصر المتناقضة: (العفة، الغدر)، (الحرارة، الدموع)، (العمق، القسوة).

- العناصر المختلفة: (الغرور، الثرثرة، الرعشة).

- العناصر المتشابهة: (الخفة، الرشاقة)، (الأريج، البريق)، (الحنان، الابتسامة)، (النشوة، الحلاوة).

ومنه فماهية الأنثى وليدة مجموعة من العناصر المتناقضة، والمختلفة، والمتشابهة.

4. الاستنتاجات:

ونستخلص من الأساطير الأنفة الذكر ثلاثة عناصر جوهرية وهي:

أولا: تواجد الأنثى على مسرح الأحداث و كيفية ظهورها.

ثانيا: حدوث الانتهاك والافتقار.

ثالثا : حدوث التحّول.

1.4. تواجد الأنثى على مسرح الأحداث وكيفية ظهورها:

نستخلص من أسطورتي (الشماكوكو والشيرونتي) بأن تجدد ظهور الأنثى كان متولدا من جسد امرأة أخرى، اذ عندما عوقبت الأنثى في كلتى الأسطورتين نتج عن ذلك نساء كثيرات واستمرت الحياة على هذا النحو.

أّما في الأسطورة العربية فلم تكن الأنثى موجودة بل وجدت بمعجزة إلهية، وبعد امتزاج بعض عناصر الطبيعة الجامدة والمتحركة بسلبياتها وايجابياتها خلقت الأنثى، فكانت كنمنمة طبيعية متناقضة الذات كتناقض ظواهر الطبيعة.

إذا تتبعنا كل من الأساطير محل للدراسة، نستنتج من خلال سردها بأنّها تريد الوصول إلى أن الأنثى لابد من وجودها رغم كل صور الصراع والتناقض الواردة في أحداث الأساطير، ففي أسطورتي (الشماكوكو والشرونتي) ورغم أن الأنثى في كل منهما مُرفِ ض وجودها وقتلت وقطّعت، غير أنها في نهاية الأمر تحّولت إلى نساء كثيرات وتزوج الرجال بهن وعاشوا معهن .

أّما في الأسطورة العربية فنجد أن الرجل كان دائم التذمر من الأنثى وما تسببه له من متاعب وإزعاج، وكان في كل مرة يطلب من الخالق أن يأخذها ليريحه منها، ولكنه يتراجع بعد ذلك ويطلب منه إعادتها لأنه بحاجة إليها، فالأنثى حسب هذه الأسطورة شر، و لكن شر ما فيها أنّه لا بد منها.

نستنتج من الأساطير السابقة بأن تواجد الأنثى الفيزيولوجي الجسدي كان متنوعا:

- ففي أسطورة "الشماكوكو" كانت الأنثى متواجدة كجسد ثم قتلت جميع النساء وبقيت واحدة فقط فأعطت نساء أخريات، لكن في أسطورة "الشيرونتي" لم يكن للمرأة تواجد ماعدا واحدة فقط قتلت وأعطت قطع جسدها نساء أخريات.

- أّما في الأسطورة العربية فلم يكن للمرأة تواجد أيضا، اذ تحّولت بعض عناصر الطبيعة وامتزجت مع بعضها البعض وأعطت الأنثى التي بقي الرجل دائم البحث عنها.

ومنه نستخلص إلى وجود اختلاف في نظرة الثقافات للمرأة من جسد فضاء مفتوح إلى جسد فضاء مغلق.

2.4. حدوث الانتهاك والافتقار:

يعتبر حدوث الافتقار منطلق أحداث النص، ومنه ينجم العقاب على الإساءة، وهذه الوظيفة تعتبر مركزية في كل النصوص الحكائية:

ففي أسطورة "الشماكوكو" انتهكت الأنثى حدودا تصورية فكانت هي في الأعلى (أعلى السقف) وكان الرجل في الأسفل (فوق الأرجوحة)، بينما يجب أن يكون العكس كما حدّدت ذلك ثقافة الأقوى هذا من جهة، ومن جهة أخرى حدث انتهاك آخر وهو انكشاف عورتها مما أثار شهوة الرجل فاغتصبها، وبعد ذلك قتلت جميع النساء. لكن واحدة منهن فلتت وتحّولت إلى آيل، تحّولت من امرأة (رمز الثقافة

والحضارة) إلى آيل (رمز الطبيعة والتوحش)، وبعد ذلك قتلت الأنثى وقطّعت ثم تحّولت قطع اللحم إلى نساء كثيرات وانبعثت الحياة فيهن من جديد. ونجد الأمر ذاته تقريبا في أسطورة "الشيرونتي" إذ انتهكت الأنثى في البداية الحدود التصورية المجالية فكانت في الأعلى (أعلى الشجرة)، وكان الرجل في الأسفل(أمام منبع الماء)، ثم بعد ذلك انتهكت تلك الأنثى نظرا لضعفها ورفض الرجال لها فقتلت وقطعت إلى قطع، هذه الأخيرة تحّولت إلى نساء كثيرات وتجددت الحياة.

أّما في الأسطورة العربية فالأنثى التي هي مزيج من الحرارة، القوة، الجمال والدهاء غرست في الرجل الحيرة المستمرة وجعلته دائم التفكير فيها، فبقدر ما رفضها قبلها، إذ حدث الانتهاك عندما رفضها، ولكن سرعان ما طلب من الخالق إعادتها.

نستخلص من الأساطير السابقة بأنّها تجيب من خلال فكرة الانتهاك على الثنائيات المتناقضة: الذكر والأنثى، المنتهك والمعاقب، الثقافة والطبيعة.

3.4. حدوث التحّول:

قتلت جميع الإناث في أسطورة "الشماكوكو"، وتحّولت الأنثى التي نجت من القتل إلى آيل، وهذا التحّول كان للتخلص من العقاب أي تحّولت من امرأة (المجتمع البشري) إلى آيل (المجتمع الحيواني).

أّما في الأسطورة العربية فقد تحّولت بعض عناصر الطبيعة من ماهيتها لتمتزج وتعطي الأنثى، أي من الطبيعة إلى المجتمع عكس أسطورة "الشماكوكو".

نستنتج مما سبق ذكره بأن هناك اختلافا في نظرة الثقافات لجسد الأنثى، وكيفية تواجدها علاقتها بالرجل هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعتبر المخيال مكسبا إنسانيا إلا أن أشكاله الخارجية ليست واحدة عند كل المجتمعات، فلكل مجتمع بنيته التصورية التي تميزه عن غيره، ولكل جماعة إنسانية حصيلتها التاريخية بكل ما تحتويه من تجارب وخبرات تشكلها وتميّزها عن غيرها.

وبتحليل عينة من حكايات المدّونة والمتمثلة في:

* الفاعل/ البطل: ذكر

- النموذج الأول: الفاعل الإيجابي: حكاية: "لَقْرَعْ بُوكْرِيشَة (هَارون الرَشِيد)"
- النموذج الثاني: الفاعل السلبي: حكاية " سمَّاع النْدَى و امْحَمَد الهْم"

* الفاعل/ البطل: أنثى

النموذج الأول: الفاعل الإيجابي: حكاية: "لُوجَة بَنْت الغُول"

- النموذج الثاني: الفاعل السلبي: "وَدِعَة مُفْرِقَة خَاوِيَها السَّبعة"

5. مقارنة السّمات والعلاقات بين الذكر والأنثى:

*** مقارنة السّمات والعلاقات بين الذكر والأنثى الإيجابيين:**

- مقارنة سمات الذكر والأنثى الإيجابيين:

أولا- السّمات المشتركة: المكانة الاجتماعية العالية.

ثانيا- السّمات المتناقضة:

أ - الذكاء والفطنة / السذاجة .

ب- المبادرة الفردية / العجز.

ثالثا- السّمات المختلفة: الشجاعة / الجمال.

- مقارنة علاقات الذكر والأنثى الإيجابيين:

أولا- العلاقات المتناقضة: مواجهة التعسف / التبعية.

*** مقارنة السّمات والعلاقات بين الذكر والأنثى السلبيين:**

- مقارنة سمات الذكر والأنثى السلبيين:

أولا- السّمات المشتركة: الغباء والسذاجة، انعدام المبادرة الفردية (العجز).

- مقارنة علاقات الذكر والأنثى السلبيين:

أولا- العلاقات المشتركة: التبعية، قابلية التعسف.

ثانيا- العلاقات المتناقضة: استغلال الآخر / الاستغلال من الآخر.

نستخلص من مقارنة الفاعلين السلبيين بأنّه:

- لا توجد فروق واضحة ما عدا الفرق الذي ينص على أنّ الذكر السلبي يستغل الآخر، بينما وعلى عكس ذلك الأنثى هي التي تُستغَل من طرف الآخر.

- الاختلافات ما بين الفاعلين تبدو واضحة حسب الجنسين أكثر منها حسب طبيعة الفاعل.

- صّورت الأنثى في الحكايات على أنّها تابعة ومستترة خلف الذكر.

6. أسباب التفرقة بين الجنسين:

إن الاختلافات بين الجنسين تنحصر في عدة ميادين كطرق التفكير، والإدراك، والإحساس، والاحتياجات...الخ، ولتوضيح هذه الاختلافات حللها "جون جراي" بربطها بمجموعة من المتغيرات أهمها: طبيعة الاهتمام، ماهية الكفاءة، الإحساس بالذات، وطبيعة العلاقات.

عموما أسباب التفرقة كثيرة تتراوح بين الاختلافات البيولوجية وتأثير الوالدين، والمستوى التعليمي، والترتيب بين الإخوة، وطبيعة الثقافة التقليدية... إلخ.

1.6. طبيعة الثقافة التقليدية:

عقد قديما مؤتمر في فرنسا يدرس هل الأنثى كائن أم لا؟. وهذا التساؤل يفسر من جهة سبب تداول الأنثى في الكثير من المجتمعات، ومن جهة أخرى يوضّح كيف أنّ التقاليد والموروثات القديمة تؤثر في وضعية الأنثى حاليا، خاصة وأنّ التقاليد والموروثات القديمة تترسخ عبر الأجيال بواسطة التنشئة الاجتماعية.

2.6. أساليب التنشئة الاجتماعية:

يرجع الاختلاف بين الجنسين إلى اختلاف أساليب التنشئة الاجتماعية للجنسين، لذا تختلف طفولة البنت عن طفولة الولد، فمثلا في سن مبكرة حوالي السن السادسة والسابعة وحسب المجتمع الجزائري «تبدأ الفتاة في اجتناب الذكور فكل التنشئة التي تتلقاها الفتاة تجعلها تشعر بالضعف، وبذلك تتكيّف ذهنيا على الحياء المرضي". (Nafissa, 1977, p185)

وهذا الحياء يدفعها لأن تكون تابعة للرجل إذ تنشئة الفتاة تعمل على تكييفها لأن تُظهِر الخضوع والطاعة، وتُلقن على هذا الأساس السلوكات والأفعال المحدّدة من طرف النموذج الثقافي للمجتمع.

إذ تتبع الفتاة في سن مبكرة نموذج النساء، فتشاركهن اهتماماتهن وأفعالهن ولا يكون لديها الوقت لتلعب بدميتها المتكّونة من الخشب والقماش، لتبدأ في أقل من السابعة بالعناية بالإخوة الصغار، فتردّد لهم الأغاني والهدهدات التي تعلّمتها.

وهذا ما يفسّر التصنيف التباييني للأدوار والمواقع الاجتماعية للجنسين، وهذا التصنيف فيه تفضيل لذكر، وتصغير للأنثى التي تمثّل النمط التقليدي المألوف، هذا النمط الذي يترجم وضع الأنثى قديما، إذ كانت الأنثى توأد حيّة خشية الفقر أو انتهاك العرض من طرف الأقوى فتصبح مهانة وعار لأهلها وعشيرتها.

3.6. الفروق الجسدية و البيولوجية:

رغم أن الجسد يعتبر عاملا للتشخيص حسب رأي "دور كايم"، غير أنّه ليس طبيعة ثابتة وموضوعية لدى مختلف الشرائح الاجتماعية فهو يختلف من جيل لآخر، ومن ثقافة لأخرى، ومن زمن لآخر...

لذا كان وصف جسد الأنثى في الحكاية غير محدّد حيث وصفت الأنثى بأنّها شديدة الجمال، إذ نجد في معظم الحكايات عبارة "وُجد الطِّفْلَة شابَة بَزاف" فلها أُعطِي الجمال، وتقريبا كل النساء اللّواتي صوّرتهن الحكايات فقد مدحن على جمالهن، كما أنّ النساء اللّواتي يُرغَبُفيهن تتميّزن بالضرورة بالجمال الرائع". (Camille, 1982, p321)

الأنثى - عموما - لا تمتلك بنية جسدية كالرجل، ممّا لا يسمح لها بالعمل المعتمد على قوّة العضلات كالرجل فمن جهة كانت دوما تابعة له في ظل حضارات اعتمدت بنيتها على منطق القوة ولا تزال، ومن جهة أخرى ترتبط الأنثى بيولوجيا بأطفالها، كما ترتبط وظائفيا بالآخرين، ممّا يستوجب عليها القيام بأفعال لا يقوم بها الرجل عادة، وهذا ما يؤول بها إلى الزمن المضاد لتحقيق الذات المبدعة، وهذا ما عبّر عنه "دور كايم" بالتقسيم الاجتماعي للعمل وليس تقسيم العمل الاجتماعي.

جسدت الحكاية هذه الفروق في دور كل من الذكر والأنثى فعلى سبيل المثال صوّر الرجل على أنّه "حكيم ومدبر" في حين صوّرت الأنثى على أنّها "ستوت" مع انعدام تبادل هذين الدورين المتناقضين ما بينهما.

7. الاختلاف بين الرجل والمرأة حسب "جون جراي":

يرى "جون جراي" بأنّ الاختلافات بين الجنسين تنحصر في عدة ميادين كطرق التفكير، والإدراك، والإحساس، والاحتياجات...الخ، ولتوضيح هذه الاختلافات تناول "جون جراي" بالتحليل مجموعة من المتغيرات أهمها:

أ- طبيعة الاهتمام. ب- ماهية الكفاءة.

ت- الإحساس بالذات. ث- طبيعة العلاقات.

ج- التحفيز. ح- كيفية مواجهة المشاكل.

1.7. طبيعة الاهتمام:

تختلف اهتمامات ونشاطات الرجل عن الأنثى حسب "جون جراي" إذ يبدي الرجال "اهتماما أكثر بالنشاطات الخارجية كالصيد وسباق السيارات، وتجذبهم الأخبار ومعلومات الطقس والنشاطات الرياضية...والسيارات القوية والحواسب السريعة، والآلات والعدد والتكنولوجيا المتقدمة". (جراي، 1999، ص11)على عكس ذلك النساء تتميّزن باهتمامات أخرى تختلف عن انشغالات الرجال واهتماماتهم، فالنساء تهتم حسب "جون جراي" بالقصص والروايات الرومنسية وكتب الخدمة الذاتية (جراي، 1999، ص11).

2.7. ماهية الكفاءة:

فسّر "جون جراي" الاختلاف في تقدير الكفاءة بين الرجل والأنثى في علاقتها بالآخرين، فالرجال " يقدّرون القوّة والكفاءة والفعالية والإنجاز، وهم دائما يقومون بالأشياء لإثبات أنفسهم وتطوير قوّتهم ومهارتهم (جون جراي، 1999، ص11). والكفاءة من وجهة نظر الرجال لا تكتمل إلاّ إذا انفردوا بالإنجاز فهم" يفتخرون بأنّهم يقومون بالأشياء بأنفسهم، والاستقلال عندهم رمز للكفاءة والكفاية والقوة (جراي، 1999، ص12). بينما نجد الوضع مختلفا عند الأنثى فهي بحاجة للآخرين لتحقيق الكفاءة لأنّ إثبات الكفاءة الذاتية ليس بالشيء المهم عند النساء فإنّ عرض المساعدة ليس عيبا والحاجة إليها ليس علامة على الضعف.

ومنه ترتبط الكفاءة عند الرجل باستقلالية الإنجاز، بيد أنّ الأنثى لا تهتم بالكفاءة بقدر اهتمام الرجل، ولا ترى عيبا في مساعدة الآخرين لها.

3.7. الإحساس بالذات:

يرى "جون جراي" بأنّ "إحساس الرجال بذاتهم يكون من خلال قدرتهم على تحقيق النتائج. ويختلف إحساس الأنثى بذاتها عن الرجل إذ يرتبط بطبيعة علاقاتها، فإحساس الأنثى بذاتها يكون من خلال مشاعرها ونوعية علاقاتها، فهي "تشعر بالثقة في نفسها عندما تجد أصدقاء يحبونها، وتستطيع أن تشاركهم مشاعرها ومشاكلها". (جراي، 1999، ص24).

ومنه فشعور الرجل بذاته مرتبط بقدرته على تحقيق النتائج، بيد أنّ الأنثى تزداد ثقتها بنفسها حينما تجد أصدقاء يحبونها، وتشاركهم مشاعرها ومشاكلها.

4.7. طبيعة العلاقات:

يرى "جون جراي" بأنّ المهم عند الرجل هو تحقيق أهدافه وغاياته وتحقيق كفاءاته "ولكي يحقّق هذا ليس هناك ثمة أحد يستطيع أن ينوب عنه في ذلك ... لهذا الرجل يفضّل الفردانية على التفاعل الاجتماعي وهذا ما يفسّر أيضا التراتبية الاجتماعية عند الرجل، فهو يهتم بنفسه أولا قبل الآخرين. بينما الوضع مختلف عند الأنثى فهي ترى بأنّ "الاتصال والتواصل عنصران أساسيان في حياتها، فتبادل المشاعر والأحاسيس الشخصية أهم بكثير من تحقيق الأهداف والنجاح وترى في الحديث مع الآخرين مصدرا للرضى التام". (جراي، 1999، ص13).

ومنه يفضل الذكر إنجاز أهدافه بنفسه، بيد أنّ الأنثى تعطي أسبقية للعلاقات والمشاعر على الأهداف.

5.7. التحفيز:

يرى "جون جراي" بأنّ التحفيز عند الجنسين مرتبط بتفاعل العلاقات الاجتماعية ومدى تحقيق أهداف الأفعال. "يتحفّز الرجال ويقوون عندما يشعرون بالحاجة إليهم، وتتحفز النساء وتقوين عندما تشعرن بالاهتمام بهن" (جراي، 1999، ص33).

ومنه يتحفز الرجل عندما يشعر بأنّ الاخر بحاجة إليه، بيد أنّ الأنثى تشعر بالتحفيز إذا اهتم الآخر بها.

6.7. كيفية مواجهة المشاكل:

يرى "جون جراي" بأنّ أهم الاختلافات في مواجهة المشاكل تكمن في:

- مشاركة الآخرين في حل المشكلة.
- كيفية حل المشكلة.

الرجل يحل مشاكله بنفسه فهو نادرا ما يتحدّث عنها، إلاّ إذا كان بحاجة إلى بعض النصائح من صاحب تجربة ومبدؤه في ذلك هو« لماذا أشرك الآخرين إذا كنت قادرا على الأداء بنفسي؟."(جراي، 1999، ص12).

هذا عن علاقات الرجل بالآخرين في مسألة حل المشكلة، أما عن كيفية معالجته للمشكلة فهو يفضّل العزلة والانفراد إذ يصبح هادئا جدا وينسحب إلى كهفه (عزلته) الخاص للتفكير بالمشكلة مليا علّه يجد لها الحل المناسب، وعندما يتوصل إليه يبدأ بالإحساس والشعور بالراحة و يخرج من عزلته.

المرأة تحتاج إلى الآخرين لمشاركتهم مشاكلها فهي تعتبر الحديث عن المشاكل مع شخص آخر مؤشر على الحب والثقة وليس إلقاء الحمل عليه.

المرأة تستشعر الراحة من خلال الحديث عن مشاكلها "عندما تكون متوترة يكون عندها شعور داخلي بالحاجة إلى الحديث عن مشاعرها وعن جميع ما يرتبط بهذه المشاعر من متاعب"(جراي، 1999، ص27).

هذا عن علاقات المرأة بالآخرين في مسألة حل المشكلة أما عن كيفية معالجتها للمشكلة فتفضل مشاركة الآخرين لها، فهي ليست معنية مباشرة عن إيجاد حلول لمشاكلها" (جراي، 1999، ص27).

نستنتج ممّا سبق ذكره بأنّ احتياجات الرجل للإحساس بالرضى تشعره بالراحة عندما ينجح في حل المشكلة، أما المرأة فتشعر بالراحة عندما تتحدّث عمّا تواجه من مشاكل.

في تحليله لأهم الاختلافات بين الجنسين أجاب "جون جراي" عن سؤال: لماذا يلجأ الرجل إلى العزلة لحل مشاكله، بينما تلجأ المرأة للحديث عنها؟.

يلجأ الرجل إلى العزلة أو يصبح في حالة من الهدوء للأسباب التالية:

- يحتاج لأن يفكّر بمشكلة ما أو إيجاد حل عملي لها.
- قد لا يكون لديه إجابة لسؤال يحيره أو مشكلة تقلقه، فالرجال لا يعترفون بعدم القدرة.
- قد يصبح مضطربا أو متوترا، وفي هذه الأوقات يحتاج لأن يسيطر على نفسه.
- يحتاج لأن يجد نفسه.

تلجأ المرأة للحديث عن المشاكل للأسباب التالية: الأسباب التي تدفع المرأة للحديث هي تقريبا ذاتها التي توقف الرجل عن الحديث وهي:

- لجمع المعلومات أو لاستكشافها.
- لتستكشف وتوّسع الموضوع الذي تتحدّث عنه.
- لتشعر بشعور أفضل ومركزية أكبر عندما تكون في حالة مضطربة.
- لتخلق جوا من الألفة...

نشير إلى أن الاختلافات بين الجنسين مهما كانت خلفيتها الاجتماعية فهي تعيد نفسها عبر الترسيخ الاجتماعي ودورة الحياة الاجتماعية المستمرة.

8. خاتمة:

ومما سبق يمكن رصد الاختلاف بين الرجل والمرأة أي بين الذكر والأنثى في عدة ميادين حسب "جون جراي" منها:

- ترتبط الكفاءة عند الرجل باستقلالية الإنجاز، بيد أنّ الأنثى لا تهتم بالكفاءة بقدر اهتمام الرجل، ولا ترى عيبا في مساعدة الآخرين لها.
- شعور الرجل بذاته مرتبط بقدرته على تحقيق النتائج، بيد أنّ الأنثى تزداد ثقتها بنفسها حينما تجد أصدقاء يحبونها، وتشاركهم مشاعرها ومشاكلها.
- يفضل الذكر إنجاز أهدافه بنفسه، بيد أنّ الأنثى تعطي أسبقية للعلاقات والمشاعر على الأهداف.
- يتحفز الرجل عندما يشعر بأنّ الآخر بحاجة إليه، بيد أنّ الأنثى تشعر بالتحفيز إذا اهتم الآخر بها.
- أنّ احتياجات الرجل للإحساس بالرضى تشعره بالراحة عندما ينجح في حل المشكلة، أما المرأة فتشعر بالراحة عندما تتحدّث عمّا تواجه من مشاكل.

هذا وقد أكدت الأساطير محل الدراسة على وجود اختلاف في نظرة الثقافات للمرأة من جسد فضاء مفتوح إلى جسد فضاء مغلق، وأنّها تجيب من خلال فكرة الانتهاك على الثنائيات المتناقضة: الذكر

والأنثى، المنتهك والمعاقب، الثقافة والطبيعة، أن هناك اختلافا في نظرة الثقافات لجسد الأنثى، وكيفية تواجدها علاقتها بالرجل مع وجود اختلافات من مجتمع لآخر.

9. قائمة المراجع:

1- سلمى، الحفار الكزبري. (د ت). في ظلال الأندلس. دمشق: مطابع ألف باء.

2- أوزولا، شوي. (1995). أصل الفروق بين الجنسين. تر: ياسين بوعلي. سورية: دار الحوار.

3- جون، جراي. (1999). الرجال من المريخ والنساء من الزهرة. تر: ابراهيم باش. الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع.

4- عزيزة، مريدن. (1985). القصة و الرواية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

5- مكاوي، عبد الغفار. (1985). النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت. حوليات كلية الأدب. (153).

6- Anzieu. D. (1984). le groupe et l'inconscient. l'imaginaire groupale. Paris: Dunod.

7- Camille. D. L. (1982) Le conte kabyle. étude ethnologique. Paris: François Maspero.

8- Claude. L. S. (1964). Le cru et le cuit. Paris: Plon.

9- Gilbert. D. (1964). la dynamique des imaginaires. Paris: P.U.F.

10- Gilbert. D. (1976). L'imaginaire symbolique. Paris: P.U.F.

11- Nafissa. Z. (1977). L'enfant d'hier. l'éducation de l'enfant au milieu traditionnel algérien. Paris: Maspero.